وقف الإبادة الجماعية في غزة المطلب الرئيسي للطلاب (Getty)

يتنامى جيل مؤيد للقضية الفلسطينية في الأوساط الطلابية بالجامعات الأميركية، بين مختلف الأديان والعرقيات، متجاوزاً هيمنة رواية وسائط الإعلام الرئيسية، ورغم عدم وجود قيادة جامعة وموجهة، تنمو أفكاره في مواجهة العنف الرسمي

أبناء القضية

كيف تشكل الجيل الداعم لفلسطين في الجامعات الأميركية؟

واشنطن ـ **سميرة بلعكري**

لم تبرح ميريام الطالبة الأميركية في جامعة جورج تاون بواشنطن منذ سبعة أيام، مكان الاعتصام بمخيم ساحة الشهداء أو Martyrs Yard، وهي التسمية الثانية التي أطلقها طلاب جامعة جورج واشنطن على ساحة U-Yard، التابعة للجامعة، بعد تسميتها مع بداية الاعتصام بالمنطقة المحررة أو Liberated Zone، والتي تضم طلابا من جامعات مختلفة يشاركون في الفعاليات المناهضة لاستمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول الماضي. اكتفت ميريام بذكر اسمها الأول تجنبا للاعتقال أو الفصل، ما يكشف عن المخاطر التي تهدد حقوق الطلاب في التعبير عن آرائهم كما تقول بينما تتوشح الكوفية الفلسطينية كما تضع قلادة نجمة داود السداسية والتي ترمز للانتماء إلى الشعب اليهودي: «أنا هنا بعد 200 يوم من الإبادة الجماعية التي راح ضحيتها قرابة 35 ألف شخص على يد إسرائيل، رأينا 76 عاما من العنف الاستعماري الاستيطاني، لا بد من أن نغير هذا». ووقف الإبادة الجماعية في غزة هو المطلب الأساسي الذي يرفعه الائتلاف الطلابي بجامعة جورج واشنطن من أجل فلسطين Student Coalition for Palestine at GW، ومن بين أعضائه الطالب خوان الذي هاجر والداه من السلفادور إلى لاس فيغاس بولاية نيفادا قبل ولادته، وتحفظ أيضا على نشر اسمه كاملا خوفا من الفصل، لكنه لا يخشى المشاركة والدعوة للحشد من أجل وقف المذابح في غزة والتي جعلته وزملاءه يشعرون بالغضب والحاجة إلى الوقوف بجانب أهالي القطاع.

ويدفع خوان وزملاؤه ما يصل إلى 80 ألف دولار سنويا رسوما دراسية، وهي مبالغ صار يعتقد بأنها أداة تُستعمل في تمويل شركات أسلحة وتقنية يعتمد عليها الجيش الإسرائيلي لقتل الغزيين، «ولا بد من التأكد من أن الجامعة ستسحب استثماراتها من كل الشركات التي تدعم الإبادة الجماعية» كما يقول هو وزملاؤه في هتافاتهم.

كيف تفجر الحراك؟

تضاعفت الاحتجاجات المناصرة للقضية الفلسطينية في الولايات المتحدة خلال شهر إبريل/نيسان الماضي، ثلاث مرات مقارنة بشهر مارس/آذار، بحسب تقرير صدر في 2 مايو/أيار 2024، عن مشروع بيانات مواقع النزاع المسلح وأحداثه ACLED (يختص بتحليل البيانات ومقره ويسكونسن)، تحت عنوان الاحتجاجات الطلابية الأميركية المؤيدة لفلسطين تضاعفت ثلاث مرات في إبريل.

ويُعتبر تضاعف الاحتجاجات الطلابية في الجامعات الأميركية أحدث علامة على انتشار الاستياء العام من المجازر التي تقع في غزة والتي سقط فيها 34735 شهيدا حتى 7 مايو/أيار 2024 وفق إحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. وتشكل المظاهرات التي شارك فيها الطلبة الجامعيون، نحو ثلث المظاهرات التي جرت في أميركا منذ بدأت الحرب في أكتوبر 2023 وحتى 26 إبريل 2024، وكانت أكثر من 90% منها داعمة لفلسطين وسلمية بنسبة 99%، باستثناء بعض الاشتباكات العنيفة التي حدثت ليلة 30 إبريل 2024 بين المتظاهرين المؤيدين لفلسطين والمناهضين لهم في جامعة كاليفورنيا، بحسب ما جاء في التقرير السابق، والذي صنف ولاية نيويورك بأنها تضم العدد الأكبر من المظاهرات المُتعلقة بالحرب الإسرائيلية على غزة، تليها مباشرة ولاية كاليفورنيا.

ومع تضاعف عدد المظاهرات الطلابية المؤيدة لفلسطين نمت تدخلات الشرطة أربع مرات، إذ فرقت الحشود واعتقلت الطلبة المؤيدين لفلسطين، وشهدت ولاية نيويورك وحدها 28% من المظاهرات المرتبطة بالصراع، والتي تدخل فيها جهاز الشرطة.

وأعادت التدخلات العنيفة إلى ذاكرة الأميركيين صور قمع مظاهرات طلاب جامعة كولومبيا بنيويورك والتي كانت تناهض تدخل الولايات المتحدة في حرب فيتنام عام 1964، إذ قوبلت الاعتصامات والاحتجاجات التي نظمها الطلبة المؤيدون لفلسطين في ما لا يقل عن 95 حرما جامعيا، بردع ومعاملة وحشية انتهت باعتقال أكثر من 2200 شخص، وفق ما نشره مركز الإعلام والديمقراطية The Center For Media And Democracy، (منظمة تقدمية مستقلة مقرها ويسكونسن) في 3 مايو الجاري. ويرفع المحتجون مطلب العفو التام عن الطلبة المعتقلين بسبب الاحتجاجات المناصرة لغزة، ويطالبون بحماية حرية التعبير عن دعم الفلسطينيين، وحقهم في الاستقلال والعودة لأراضيهم، ويرفضون وقف الاعتصام حتى تتحقق مطالبهم كما تقول الطالبة الأميركية من أصل أرجنتيني ماريا Mariah.

ظاهرة مخيمات الاحتجاج لها أصول تاريخية في أميركا

يرفض الطلاب حملات التلقين والدعاية الوحشية الإسرائيلية

أصول تاريخية لمخيمات الاحتجاج

تهدف مخيمات الاحتجاج إلى حضور واضح ومستمر في الحيز العام، من أجل الدفع باتجاه أخلاقي، عبر مركز للتعبئة والتضامن، بحسب ما يفسره البروفيسور ستيفن مينتس Steven Mintz، أستاذ التاريخ بجامعة تكساس، وتاريخيا شهدت أميركا مخيمات احتجاجية متعددة مثل «حركة احتلوا» The Occupy Movement (اجتماعية وسياسية عارضت التفاوت الاجتماعي) والتي استوحت أمثلة لاحتجاجات جيش المكافآت Bonus Army حين نظم قدماء المحاربين في الحرب العالمية الأولى من العاطلين عن العمل مجموعة اعتصامات في واشنطن عام 1932 للمطالبة بحقوقهم إذ عانوا البؤس والحاجة الشديدين، في فترة الكساد الكبير. وكذلك معسكرات السلام المناهضة للأسلحة النووية The Anti-nuclear Peace Camps (احتجاجية ومناهضة للحرب) في الثمانينيات، واحتجاجات ضد بناء خط أنابيب داكوتا The Dakota Access Pipeline Protests عام 2016، والمخيمات التي تشكلت في مدن مثل بورتلاند، أكبر مدن ولاية أوريغون، في أعقاب مقتل الأميركي من أصل أفريقي جورج فلويد عام 2020 على يد الشرطة.

و«على الرغم من أن الاحتجاجات الحالية يجري تسليط الضوء عليها بقوة، لكنها بلا قيادة ما يؤثر على قدرات الحشد»، كما يقول مينتس، مشيرا إلى نجاحها في لفت الانتباه إلى المعاناة في غزة، لكن من غير الواضح ما إذا سيكون لهذه التكتيكات تأثير كبير على السياسة الأميركية، على عكس احتجاجات الستينيات التي كانت لها عواقب عديدة، منها إلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية؛ وتصاعد المعارضة الواسعة لحرب فيتنام وإنشاء برامج دراسات السود ودراسات المرأة واستحداث التعليم المختلط في مؤسسات Ivy League (رابطة تجمع ثماني جامعات عريقة)، وحدوث تغييرات في المناهج الدراسية ومتطلبات التخرج، لكن الطالبة الأميركية الفلسطينية ميساء لا ترى الأمر على هذا النحو، معبرة عن سعادتها وتأثرها باعتصام طلاب جامعتها من مختلف الأصول والديانات، قائلة لـ«العربي الجديد» بصوت أتعبته الهتافات وأثرت على نبرته برودة ليالي المخيم الذي أقامه الطلبة المناصرون للقضية الفلسطينية في جامعة جورج واشنطن: «هذا المشهد يتوحد فيه الجميع من أجل الوقوف إلى جانب فلسطين».

كيف نشأ الجيل الناقم على إسرائيل؟

تغلبت ميريام على ما سمّته «حملات التلقين والدعاية الوحشية» التي تستخدمها «الدولة الصهيونية»، لاستمالة اليهود الأميركيين، من خلال قراءة التاريخ والنقاش مع أصدقائها الفلسطينيين، حتى أنها منكبة حالية على تأسيس منظمة مناهضة للصهيونية في جامعة جورج تاون، بدعم من والديها، وهو ما تعتبره «رفاهية» لا يتمتع بها الكثير من أقرانها اليهود، وفق حديثها لـ«العربي الجديد». أما خوان فيعزو وعيه ورفاقه حول القضية الفلسطينية إلى حصولهم على المعلومات من مصادر مختلفة عن وسائل الإعلام الرئيسية، التي لم تعد المصدر المهيمن والوحيد للخبر والتي وصفها بأنها «شريكة في تضليل الرأي العام ولا تنقل الصورة عن الحراك كما نراه»، ويضرب مثالا على طريقة تعاطي وسائل إعلام أميركية مع الجرائم الحاصلة في غزة بقوله إن «صحيفة مثل نيويورك تايمز لا تستعمل مصطلح الإبادة الجماعية».

ويُجمع الطلبة الذين قابلتهم معدة التحقيق في ساحات الاعتصام على أن مواقع التواصل الاجتماعي باتت تشكل مصادر أساسية لفهم ما يجري، كما أنها ساعدتهم على التواصل المباشر مع النشطاء الغزيين، والصحافيين الميدانيين، وزملائهم في الجامعة ممن لديهم أقارب في القطاع، ومنهم يستمدون طاقتهم لتقوية الحراك ومواصلة الاعتصام، إذ يتلقون رسائل شكر وامتنان من هناك، كما يقول خوان وماريا وميريام والذين يمثلون عينة من 60% من الشباب الأميركيين الذين يرون فلسطين بإيجابية، مقابل 40% يرون إسرائيل كذلك، بحسب تقرير أصدره مركز بيو للأبحاث، مركز أبحاث مستقل مقره واشنطن العاصمة، في 21 مارس/آذار 2024، تحت عنوان « Majority in U.S. Say Israel Has Valid Reasons for Fighting; Fewer Say the Same About Hamas»، الأغلبية في الولايات المتحدة تقول إن إسرائيل لديها أسباب وجيهة للقتال؛ قليلون يقولون نفس الشيء عن حماس.

وتكشف نتائج استطلاع آخر أُجري في مارس الماضي، بعنوان تعاطف الديمقراطيين في الشرق الأوسط يتحول نحو الفلسطينيين، أن التعاطف الديمقراطي في الشرق الأوسط يتوجه نحو الفلسطينيين الذي نالوا 49% من التأييد مقابل 38% للإسرائيليين، مع تسجيل فجوة واضحة بين الأجيال، إذ حصلت إسرائيل على تعاطف إيجابي بنسبة 46% بين جيل «Baby Boomers» وهم مواليد الفترة الممتدة بين عامي 1946-1964، و32% بين أفراد الجيل «X» وهم مواليد الفترة بين عامي 1965 و1979، مع تسجيل انخفاض في التعاطف مع إسرائيل وسط أفراد جيل الألفية Millennials أي مواليد الفترة الممتدة بين عامي 1980-2000، والذين حصلت إسرائيل على 40% من أصواتهم المؤيدة مقابل 42% يؤيدون فلسطين.